بحسب الطاقة. ولم يزل على حاله الجميل حتى مات سنة ١١٩١ إحدى وتسعين ومائة وألف. وله حواشٍ على شرح «الغاية» و«الكشاف». وحواشيه مفيدة جدّاً، في غاية من الدقة والتحقيق. نقلها عنه شيخنا المغربي المتقدم في كتبه.

٣٨

(السيد أحمد بن صَلاح بن يَحْيَى الخطيب الكَوْكباني ثم الصَّنعَاني)

أخذ العلم عن السيد العلّامة إسْحَاق بن إبراهيم بن المهدي. وبه تخرَّج، وعليه عوّل. وبرع في المعارف، وجمع رسائل، منها رسالة في كون الفرجين من أعضاء الوضوء سماها (الرياض الندية). وقد أجبت عليه برسالة سميتها (الصوارم الهندية المسلولة على الرياض الندية). ومنها رسالة أجاب بها على رسالة للسيد العلّامة مُحمَّد بن إسماعيل الأمير جمعها في مسائل ثمانٍ، ومنها رسالة في تحريم المتعة. وحصل معه خفة في الدماغ، فكان يتردد ما بين صنعاء وشبام، ثم تراجع عقله، وتصوَّف ومال إليه جماعة من الناس، وأخبروا عنه بمكاشفات وأحوال. وابتلي آخر المدة بذهاب بصره. ولعلَّ موته على رأس القرن الثاني عشر أو قبله بقليل[1].

٣٩

(أحمد بن عَامر الحدائي ثم الصّنعاني)

أخذ علم الفقه، والفرائض بصنعاء عن جماعة من علمائها، وتصدَّر للتدريس في الفنين بجامع صنعاء. واستفاد عليه جماعة من الأعيان. وكان في لسانه ثقل لا يكاد يعرف عبارته ويفهمها إلّا من مارس ذلك. وكان زاهداً، متقللاً من الدنيا، مواظباً على الطاعات، آمراً بالمعروف؛ ناهياً عن المنكر، يغضب إذا بلغه ما يخالف الشرع. وفيه سلامة صدر زائدة. قرأت عليه في الأزهار وشرحه مرتين، وفي الفرائض وشرحها للناظري مرات. وكان مواظباً على التدريس، لا يمنعه منه مانع. فإنه يقع المطر العظيم الذي يمنع من خروج من هو في سن الشباب فلا يكون ذلك عذراً لدى صاحب الترجمة، لرغبته في الخير وحرصه على إفادة الطلبة. ولقد استمر انصباب المطر في بعض السنين من قبل الفجر إلى قريب وقت الظهر وكان معنا درس عليه وقت الشروق، فما تركت الذهاب إلى الجامع، لعلمي بأنَّ مثل ذلك لا يمنعه مع عُلوِّ سنِّه. فانتظرت له في المكان المعدّ للدرس فلم يأت هو ولا أحد من الطلبة وهم كثيرون، فجاء اليوم الثاني وقال لي: هل أتيت إلى هنا، قلت: نعم، قال: لو علمت

(١) في جامع المتون: توفي أحمد بن الصلاح في جمادى الآخرة، سنة ١١٩٦هـ.

أنك أتيت ما اختلفت. ثم تأسّف كثيراً على فوت الدرس، وما زال كذلك حتى (مات) في شهر رجب أو شعبان سنة ١١٩٧ سبع وتسعين ومائة وألف، ولعله قد جاوز السبعين. ورثيته بأبيات غابت عني، وذكرتُ فيها تاريخ موته وهو (حط بجنات الخلود أحمد) رحمه اللَّه وإياي.

٤٠

(أحمد بن عبد الحَليم ابن عبد السّلام بن عبد اللَّه بن القَاسِم بن تَيْمِية)[١]

الحرَّانيّ الدِّمشْقيّ الحنبليّ، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام إمام الأئمة المجتهد المطلق. ولد سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة، وتحوّل به أبوه من حرَّان سنة ٦٦٧ سبع وستين وستمائة، فسمع من ابن عبد الدايم، والقاسم الإربلي، والمسلم بن علّان، وابن أبي نمر، والفخر، ومن آخرين؛ (قال ابن حَجَر) في الدُّرر: وقرأ بنفسه، ونسخ سنن أبي داود، وحصَّل الأجزاء. ونظر في الرجال والعلل. وتفقَّه، وتمهَّر، وتقدَّم، وصنَّف، ودرَّس، وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوَّة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف. انتهى. (وأقول): أنا لا أعلم بعد ابن حَزْم مثله، وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن يُشابههما أو يقاربهما. (قال الذهبي) ما ملخصه: كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف التي يوردها منه. ولا أشدّ استحضاراً للمتون وعزوها منه. وكانت السنَّة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة. وكان آيةً من آيات اللَّه في التفسير والتوسع فيه. وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يُشقُّ غباره فيه، هذا؛ مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة، والفراغ عن ملاذِّ النفس. ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد، بل أكثر. وكان قوَّالاً بالحق، لا تأخذه باللَّه لومة لائم. ثم قال: ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه. ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه. وقد أُوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده. وكان أبيض، أسود الرأس واللحية قليل الشيب. شعره إلى شحمة أذنيه، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً سريع القراءة، تعتريه حدّة لكن يقهرها بالحلم، (قال): ولم

---

(١) ترجمته في: البداية والنهاية: ١٤/ ١٤١؛ النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٧١؛ كشف الظنون: ١٣٥، ٢٢٠ ٢٦٠، ١٨٧٢، ١٩١٣؛ إيضاح المكنون: ١/ ٢٣، ٢٥، ٩٧؛ معجم المؤلفين: ١/ ٢٦١؛ الأعلام: ١/ ١٤٤؛ الدرر الكامنة: ١/ ١٤٤؛ تاريخ آداب اللغة: ٢/ ٢٥٦.